OPEN ACCESS
AL-EHSAN
ISSN(E) 2788-4058
ISSN(P) 2410-1834
www.alehsan.gcuf.edu.pk
PP: 203-217

التفسير الإ شاري فى المغرب: البحر المديد لا بن عجيبة نموذ جًا

Tafseer Al-Ishari in Morocco: A Sample Analysis of Ibn-e-Ajiba's Al-Bahr Al-Madeed

Dr. Asif Ali Raza

Assistant Professor of Arabic,

Govt. College Samanabad, Faisalabad

Dr. Hafiz Muhammad Sarwar

Associate Professor of Arabic,

Baha-Ul-Din Zakaria University, Multan

Abstract

This research article deals with the role of Morocco's scholars in the field of Tafseer e Ishari or spiritual interpretations of the verses of Quraan e Kareem according to the conditions described by the scholars of Islam. Specific research study has done for Al-Bahr Al-Madeed a well known Tafseer by Shaikh Ibn e Ajiba (1747- 1809AD)

A leading scholar of Morocco in 18th century. This study reveals the methodology adopted by Ibn e Ajiba in tafseer and conclude that his interpretations of the quranic verses were in accordance with the standards set by the early scholars of Islam.

Key words: Tafseer e Ishari, Ibn e Ajiba, Al- Bahr Al-Madeed, Morocco, Spiritual Intrepretations.

تفسير القرآن الكريم من أجلّ العلوم قدرًا و منزلةً، كماهو من أهمّها نفعًا و أكثرها فائدةً لكونه سبيلًا إلٰى فهم معانى كتاب الله، وطريقًا إلٰى تدبّره، و لذلک نجد عددًا كبيرًا من العلماء الأفذاذ وأساطين العلوم و جبال المعرفة أفنوا حيا تهم فى خدمته و قضوا أعمارهم فى حل مشكلاته و بذلوا جهودهم فى تيسير مُهما ته عبرالعصور منذ بداية عصر التدوين إلٰى يومنا هٰذَا، فى شتّى البلدان الإسلامية والدُّول المختلفة من الحجاز إلٰى الأندلس ومن القاهرة و دمشق إلٰى القرطبة والفاس.اللغة العربية هي لغتنا الدينيّة فلآدابها.

ووضعوا دفاتر ضخمة فی التفسیر والتأویل، فمنهم من فسّر القرآن الکریم کاملًا و منهم مَّن خَصَّص جزءًا أوسورةً للتفسیر۔ و تنوّعت طرقهم و اختلفت جهود هم لنیل المقصود حسب میولهم الطّبیعیة و أذواقهم العلمیة و قدرا تهم الفنّیة، فظهرت لنا مجموعة کبیرة من أنواع التفسیر المختلفة: منها المأثورو المعقول، ومنها البلاغیة و اللغویة، ومنها الکلامیة والفقهیة والبعض اختاروا لأنفسهم الطریق الممزوج والمزدوج۔

ومن تلک الأنواع التفسیریة، التفسیر الإشاری، وهو الإقرار بظاهر القرآن والقبول لمعناه و تأویل الآیات علی خلاف ما یظهر منها بمقتضٰی إشارات خفیّة تظهر لأولی العلم من أرباب السلوک مع إمکان المطابقة بینها وبین الظواهر المرادة۔

فی هذه المقالة العلمیة حاولت۔ حسب القدرة۔ أن أبحث عن محاولات التفسیر الإشاری فی المغرب الأقصٰی وخَصّصتُ للدّراسة تفسیر البحر المدید للشیخ ابن عجبة (1160هـ 1324ه) لنکون علٰی بصیرة عن هذا النوع من التفسیر و نعرف إسهام علماء المغرب فی هذا النوع من التفسیر عبرالعصور۔

قسّمت المقالة إلٰی مباحث ثلثة تلیها الخاتمة والنتائج۔

المبحث الأوّل: معنی التفسیر الإشاري و آراء العلماء فیہ من الجوازو عدمہ۔

البحث الثانی: محاولات التفسیر الإشاري فی المغرب الأقصٰی

البحث الثالث: تفسیر البحرالمدید للشّیخ ابن عجیبة و منهجہ فی التفسیر الإشاری

البحث الأوّل: معنی التفسیر الإشاری و آراء العلماء

اختلفت الآراء عن التفسیر الإشاري فی منعہ وجوازہ، ولکن یَتَّضح من البحث جلیًّا أنّ الممنوع هو تفسیر الملاحدة والباطنیة الّذین أنکرو اظاهر القرآن وأبطلوا الشریعة واتّخذوا اٰرائهم الفاسدة سبیلا لهذا الانکار ورفضوا أحکام الشریعة وظاهر الدّین الحنیف، أما التفسیر الإشاري للصّوفیة الّذین لاینکرون ظاهر القرآن بل یقرّونہ و یحثّون علیہ، ثمّ یأتون بإشارات و لطائف دقیقة الّتي جادت بها قریحتهم وألقیت فی قلوبهم لصفائهم و تزکیتهم وکانت مطابقة لظاهر الشریعة ومؤیّدةً بالدّلائل الأخرٰی، فهٰذالا ینکرہ أحد مّن الخلف والسّلف۔

وقد ثبت هذه الإشارة من الصّحابة رضوان الله علیهم اجمعین، کماذکر الإمام البخاري فی صحیحہ عن ابن عباس رضی الله عنهما قال:

''کان عمر یُد خلنی مع أشیاخ بدر، فکان بعضهم وجد فی نفسہ فقال: لِم تُدخل هذا معنا ولنا ابناء مثلہ؟ فقال عمر إنہ من حیث علمتم، فدعاه ذات یوم فأدخلہ معهم فما رأیتُ أنّه دَعانِی یومئذٍ إلّا لیریهم، قال: ماتقولون فی قول الله عزوجلّ (إذَا اجَاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علینا، و سکت بعضهم فلم یقل شیئًا فقال لِیْ: أکذاکَ تقولُ یا ابن عباس، فقلت: لا، قال: فما تقولُ؟ قلت: هو أجل رسول اللهﷺ أعلمہ لہ قال (إذاجاء نصر الله والفتح) وذلک علامة أجلک (فسبّح بحمد ربّکَ واستغفره إنہ کان توّابا) فقال عمر: ماأعلم منها إلّا ماتقول۔''[1]

فی هذا الحديث جواز مصرّح للتفسير الإشاري، كما نقله العلامة ابن حجر فی شرحه:

''وفيه جوازتأويل القرآن بما يُفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلكَ مَن رسخت قدمه فی العلم، ولهذا قال علی رضی الله عنه، أوفهما يؤتيه رجل فی القرآن''(2)

هذ ابالنسبة إلٰی جوازه، وقد فرّق أهلُ العلم بينه وبين تفسير الملاحدة بقبول ظاهر القرآن وعدمه، كما وضّح هذا الفرق الشيخ الزرقانی حين كتب:

''۔۔ الفرق بين تفسير الصوفية المسمّٰی بالتفسير الإ شاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصّوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضّون عليه ويقولون لابدّمنه أوّلًا، إذ مَن ادّعٰی فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظّاهر كمن ادّعٰی بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، أمّا الباطنية فإنّهم يقولون إن الظّاهر غير مراد أصلًا و إنّما المراد الباطن و قصد هم نفی الشريعة۔ ''(3)

فظهر الفرق بينهما جَليًّا، وأشار إلٰی تسميتهم الباطنيّة، التفتاز انی عند ذكرهم فی شرحه علی العقائد النّسفية: سُمّيت الملاحدة باطنية لإدّعائُهم أنّ النّصوص ليست علی ظاهر ها، بل لها معانٍ باطنية لا يعرفها إلّا المعلم، وقصدهم بذلک نفی الشريعة بالكلية۔(4)

أمّا بالنسبة إلی الصّوفية وإشاراتهم فليست من هذا القبيل، ولذلک نری المحقّقين من العلماء أجازوا له مثل الشيخ ابن تيمية حين أجاب عن السوال فی فتاواه:

''۔۔ ومتی كان المعنی صحيحا والدلالة ليست مرادةً، فقد يسمی ذلک إشارةً، وقد أودع الشيخ السلّمی من هذا قطعة۔''(5)

والمراد من الشيخ السلمی هو عبدالرحمن محمد بن الحسين (□▤▤۔ ▤▱▱▤ه) الّذي ألّف، حقائق التفسير وفسّر علی طريقة الإشارة ورزق حسن القبول عند العلماء والصوفية۔

ولخّص ابن قيّم الجوزيّة آراء المتقدّمين فی التفسير الإشاريّ وأجازه بشروط عديدة:

''۔۔وتفسير علی الإشارة والقياس،وهو الّذي ينحوا إليه كثير من الصّوفية وغيرهم وهذا ممّالا بأس به بأربعة شرائط:

۱۔ أن لا ينا قض معنی الآية

۲۔ أن يكون معنًی صحيحا فی نفسه

۳۔ أن يكون فی اللفظ إشعاربه

۴۔ أن يكون بينه وبين معنی الآية إرتباط وتلازم

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا۔''(6)

بينما جوّزه الشاطبی بشرطين:

''أحدهما: أن يصحّ على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب و يجرى على المقاصد العربية الثانى: أن يكون لہ شاهد۔ نصًّا ظاهرًا۔ فى معلّ آخر يشهد لصحّتہ من غير معارضٍ۔''(7)

ولَمّا يوجدهذه الشرائط و يراعيها المفسّر فالتفسير جائز صحيح كما تقدّم، و احتاط اولوا العلم من أرباب السلوک أشدّ احتياط و قالوا أن نسبة الإشارة۔ بعد وجود الشرائط المذكورة۔ إلى القرآن مجازية ليست حقيقية كما نصَّ عليہ الشيخ ابن عاشور قائلًا:

''فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنّها إنّما تشير لمن استعدّت عقولهم وتدبّرهم فى حال من الأحوال الثلٰثة ولاينتفع بها غير اولئک، فلمّا كانت اٰيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلک الإشارة للآية، فليست تلک الإشارة هى حق الدّلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللّفظ وتوابعہ كماتبين۔''(8)

وقد قسّم بعض الباحثين التفسير الصوفى إلى قسمين نظرا لتقسيم التصوف إلى نظري و عملى وبالتالى انقسم التفسيرالصوفى إلٰى تفسير صوفى نظرى و تفسير صوفى فيضى أو إشاريّ كمافعل د.الذهبي و منع الأوّل وأجاز الثّانِى(9) وفرّق بينهما بوجهين:

''۔۔ أوّلًا: أن التفسير الصوفى النظري يبنى على مقدّمات علمية تنقدح فى ذهن الصوفى أوّلًا ثمّ ينزل القرآن عليها بعد ذلک۔

أمّا التفسير الإشاري فلاير تكزعلى مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية بأخذ بها الصّوفى نفسہ حتى يصل إلٰى درجة تنكشف لہ فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية وتنهلّ على قلبہ من سحب الغيب ماتحملہ الأٰيات من المعارف السبحانية۔

ثانيًا: أن التفسير الصوفى النظري، يرى صاحبہ أنہ كلّ ماتحتملہ الآية من المعانى، وليس وراء معنى آخريمكن أن تحمل الآية عليہ۔۔۔ هذا بحسب طاقتہ طبعًا۔

أما التفسير الإشاري، فلا يرى الصوفى أنہ كلّ مايراد من الآية، بل يرى أن هناک معنى آخر تحتملہ الآية ويراد منها أوّلا وقبل كل شئى، وذلک هوالمعنى الظّهر الذي ينساق إليہ الذهن قبل غيرہ۔ ''(10)

خلاصة هذه الآراء جميعًا أن جواز التفسير الإشاري مناط بإقرار ظاهر القرآن و قبولہ، و صحتہ مبنى على كونہ موافقا لمقتضٰى ظاهر القرآن و مؤيَّدًا بالنّصوص والدّلائل الأخرٰى ومنعہ - مع غض النّظر عن تسميتہ بالتفسير الصوفى النظري أوا لتفسير الباطنى۔ منحصر فى إنكار ظاهر القرآن و نفى الشريعة وهذا ممّا لاخلاف فيہ بين العلماء و أرباب السلوک من القدامٰى والمحدثين۔

المبحث الثانى: محاولات التفسير الإشاري فى المغرب الأقصٰى (Morocco)(11)

بدأت حركة التفسير الإشاري فى التاريخ الإسلامى منذ القرن الثالث الهجري أيْ مع بداية عصر التدوين والتأليف، ولعلّ أوّل من ألّف فى هذا الفنّ

وشيّد أركانه هو ابو محمد سهل بن عبدالله التستري (□□□-□□ه) وتفسيره معروف بتفسير التستري، ثمّ جاء بعده الشيخ ابو عبدالرحمن محمد بن الحسين السّلّمي (□□□-□□ه) وصنّف كتابا جامعا غنيّا عن التعريف وسمّاه حقائق التفسيروعُرف بتفسير السّلّمى، ورزق حسن القبول بين الناس من العلماء والعوام، ثم أدلى دلوه فى هذا البحر الشيخ ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري (□□□-□□ه) وألف نتائج أفكاره و ثمرات قلبه باسم لطائف الإشارات، والمعروف ب''تفسير القشيري '' ثم تتابع المحاولات فى هذا المجال بشكل كبير ممّايطول بنا ذكرها في هذاالمقام.

ولَمّا نريد دراسة حركة التفسير وجهود علماء المغرب فى نشر معانى القرآن الكريم وإسهاماتهم البارزة فى هذا المجال، النكتة الأولٰى التى لا بُدّ أن تحفظها هى أن البذرة الأولٰى فى حقل التفسير فى الغرب الإسلامى ليست حديثةً كما يظنّ البعض، بل التأليف فى هذا العلم كان قديمًا، ومحاولات علماء الغرب الإسلامى التفسيرية ليست متأخرة من المفسّرين فى الشرق الإسلامى.[12] واهتمام العلماءالباحثين في تفسير القرآن الكريم فى هذه البقعة من الأرض بدأ منذالقرن الثّانى الهجرى، ولعل فضل التقدّم فيه لتفسيريحىٰ بن سلام القيروانى (ت: ۲۰۰ھ) والذى روى تفسيره الفقيه الأفريقى ابو داؤد العطار (ت: ۲۷۴ھ) ثم تابعه فيه عبدالملک بن حبيب (ت: ۲۳۹ھ) والذى صنف التفسير فى ستين جزءًا وان كان معروفًا بكونه فقيهًا مالكيا و كذلک ساهم فى هذه الحركة المباركة ابو عبدالله محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي (ت: ۲۰۶ھ) كان إماما فى الفقه المالكى وتفسيره هذا جامع لأحكام القرآن حسب و جهة نظر الفقه المالكى.

وأما بالنسبة للتفسير الإشارى خاصة فى المغرب الأقصٰى فنجد المخطوط[13]لتفسير الفاتحة بالإشارة للشيخ عبدالرحمن الفاسى (ت: ۱۰۹۶ھ) الفقية الصوفى والمورخ الناظم من كبار علماءالمغرب فى القرن الحادي عشر الهجرى وله حاشية قيمة على الجلالين، واستفاد منها كثيرا الشيخ ابن عجيبة فى تفسيره وأقرّبه فى نهاية الكتاب. واستمرّت هذه الحركة طوال القرون الماضية وساهم فيها عديدمن العلماء، منهم الشيخ ابن عجيبة وتفسيره، البحر المديد، يعدّ من أبرزا التفاسير الإشارية، والشيخ طاهر بن عاشور (ت: ۱۳۹۳ھ) ألّذي ألّف التحرير والتنوير، و أودع فيه نكات لطيفة و إشارات بديعة ممّاجعله من أهمّ المصادر فى التفسير الإشاري.

ومن أحدث المحاولات فى التفسير فى المغرب الأقصٰى هو التيسير فى أحاديث التفسير للشيخ المكى الناصري (ت: ۱۴۱۴ھ) وهو مجموعة دروس ومحاضرات ألقاها الشيخ بالاذ اعة الوطنية (Nationed Radio) بالمغرب فى الستينات.

المبحث الثالث: ''البحر المديد'' للشيخ ابن عجيبة ومنهجه فى التفسير الإشاري

مؤلّف هذا التفسير هو أحمد بن محمد بن المهدي المعروف با بن عجيبة، والمكنى بأبى العباس الحسينى نسبًا، التطوانى دارًا، الفاسى تعلما، المالكى مذهبا والشاذلى طريقةً۔[14]

فى رأي بعض الباحثين أن الكنية بابن عجيبة كان تعبيرا من معاصريه عن سعة اطلاعه وتمكّنه من ثقافته وقدرته على إظهار علمه فى علم الظاهر و الباطن۔[15]

ولد ابن عجيبة سنة ۱۱۶۰ھ/ ۱۷۴۷م من أبوين صالحين من أسرة كريمة ذات علم وفضل يرجع نسبها إلى إمام الانبياء والمرسلين سيدنا محمد رسول اللهﷺ بو اسطة سيدنا حسن بن على رضى الله عنهما وهذه الأسرة معروفة بالصلاح والتقوٰى فى تطوان منذ القرون۔ نشأهذا الولد البارّ فى بيت صلاح و تقوى، وأقبل على حفظ القرآن وهو فى سن مبكرة، وقد تميّزا الشيخ بالقدرة على التركيز العلمى وتوقد القريحة، ورحل إلى مدينة القصر الكبير، واجتهد فى تحصيل العلم ولم يقنع بما أخذ عن علماء القصر الكبير بل رحل وها جر إلى تطوان، وكانت مركزا للعلوم وموئلا للفنون فى ذلک العصر۔

جعل ابن عجيبة ينهل من منابيع العلم و الحكمة و يروي ظمأه على أيدي كبار الأساتذه و مَهرة الفتون من الفقه والتفسير والحديث واللغة والنحو والصرف والمنطق۔ ومن أبرز أساتذته جده المهدي بن الحسين، والفقيه القاضى عبدالكريم بن قريش (ت: ۱۱۹۷ھ) وأبو عبدالله محمد بن الحسن الجنوي الحسينى (ت: ۱۲۰۰ھ) و آخرون. فواصل اللّيل بالنّهار، و شمّر عن ساق الجدّ والا جتهاد، وسرعان ماظهرت ثمرة هذا الجدّ فلم يبلغ تسعاوعشرين سنة حتى بزغ نجمه وعلاشانه وجلس للتدريس فى مساجد تطوان ومدارسها، ولكن ذلک لم يمنعه من مواصلة العلم فى مظانّه ، فشدّ الرّحال إلى ''فاس'' وكان فى سنّ الأربعين فسمع من علمائها وأخذ عنهم الفرائض والحديث واللغة وغيرذلک۔[16]

بعد أن نال الشيخ الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من علوم عصره العقلية والنّقلية وفازفيها بدرجة عالية ممتازة واحتلّ المناصب العالية فى المعاهد العلمية أنذاك مال إلى السّلوک ورغب فى التصوف والإحسان واتصل بالشيخ محمد البوزيدي الغماري (ت: ۱۲۲۹ھ) تلميذ الشيخ الدرقاوي (ت: ۱۲۳۹ھ) مجدد الطريق الشاذلى الدرقاوى فى الألف الثّانى الهجرى، وأخذعنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية[17] وكتب الشيخ ابن عجيبة فصلا كاملا فى فهرسته ذكر فيه تجربته الفريدة فى تصوفه و مجاهداته الشاقة۔ ونال ما نال من مراتب عالية وتكلم على أسرار أهل الكمال وأجمعت على ولايته أهل المغربأسرها۔

أثنى عليه محمد مخلوف حين قال:''هو المؤلف المحقق، الفهامة البارع المدقق الصوفى الجامع بين الشريعة والحقيقة۔''[18]

وقال عنه عبدالقادر التليدي: ''هو العلّامة الامام الصّوفى المفسّر، صاحب الصّيت والشهرة ذوالتآليف الكثيرة والمآثر العديدة من الشخصيات البارزة والمشهورة فى العالم الإسلامى وخاصة بين أواسط الصوفية۔''[19]

هذه الآراء تدل على مكانته العلمية الرفيعة و منزلته الشامية بين العلماء.

مؤلّفاته:

كان الشيخ ابن عجيبة مؤلّفًا بارعًا وشارک فی التفسير و الحديث والفقه والتصوف، وآثار علمه دائرة بين المخطوط والمطبوع و البعض منها المفقود، وهی مختلفة حجما من مؤلف فی مجلّدات كتفسيره و منها رسائل متوسطة والبعض صغير الحجم غزيرالعلم، أكتفی هناک بذكر البعض لنتميم الفائدة۔

۱۔الفتوحات القدوسية فی شرح المقدمة الآجرومية۔

وهو شرح المقد مة الآجرومية متن معروف فی علم النحو، جمع الشيخ فيه بين النحو والتصوف فيذكر عبارة المؤلف و يشرحها بمقتضی علم النحوويتبعها بالمعنی۔

۲۔الفهرسة: وهي سيرة الشيخ الذاتية، انتهی من تنقيحها سنة ۱۲۲۴ھ وران كان قدبدأ بتأليفها قبل ذلک بمدة۔ رأت نور الطباعة أول مرة باللغة الفرنسية حيث ترجمها المستشرق الفرنسی المسلم ''جان لوی ميشون'' ثم صدرت بمصر باللغة العربية سنة ۱۹۹۰م، بتحقيق د۔عبد الحميد صالح۔

۳۔ البحر المديد فی تفسير القرآن المجيد۔

طبع جزء منه سنة ۱۹۰۶ھ فی القاهرة، ثم أعيد طبعه كاملا سنة ۱۹۹۹م فی القاهرة علی نفقة الأستاذ الدكتور حسن عباس زكی و بتحقيق أحمد عبدالله القرشی رسلان، وطبع مؤخرا فی سنة ۲۰۰۲م بيروت بتحقيق الأستاذ عمر أحمد الراوی۔

۴۔ إيقاظ الهمم فی شرح الحكم:

أشهركتب الشيخ وأشهر شروح حكم ابن عطاء الله، انتهٰی من تبييضه ثامن جمادی الأولی سنة ۱۲۱۱ھ و قد طبع أكثر من مرة فی مصرو سوريا و منها طبعة دارالمعارف بمصرسنة ۱۹۸۰م بمراجعة وتقديم محمد أحمد حسب الله۔

۵۔ الكشف والبيان فی متشابه القرآن، وهوآخرما ألّفه رحمه الله. تدلّ هذه الآثار علی خبرته وسعة اطلاعه فی العلوم وطول باعه فی الفنون الإسلامية۔

أخصّ بالذّكر فی هذه المقالة تفسير الشيخ ابن عجيبة الذی سمّاه ''البحر المديد فی تفسير القرآن المجيد'' وهومن أبرز أعماله و نال القبول من المتخصّصين فی علم التفسير ورُزق الإعجاب من الطلاب والدارسين۔ ذكر الشيخ فی مقدمة تفسيره سبب التأليف فقال:

> ''۔۔ وقد ندبنی شيخی العارف الربانی سيدی محمد البوزيدی الحسينی، وكذلک شيخه القطب الجامع شيخ الشائخ مولائی العربی الدرقاوی الحسينی أن أضع تفسيرا يكون جامعابين تفسير اهل الظاهر وإشارة أهل الباطن فأجبت سؤالهم وأسعفت طلبتهم رجاء أن يعمّ به الانتفاع ويكون ممتعاللقلوب والأسماع۔''(20)

ولكونه جامعا بين علم الظاهر و الباطن اهتمّ بهما فی تفسيره و ما اكتفی بأحدهما فقط ولهذا الوجه يعتبر التفسيرالمغربی الوحيد الجامع بين لونی

تفسير القرآن الكريم، ومن يكون أهلًا لهذا النوع من التفسير؟ ذكر الشيخ فى مقدمته باحثا عن أوصاف المفسّر:

''۔۔ فإن علم تفسير القرآن من أجلّ العلوم، و أفضل ما ينفق فيه نتائج الأفكار، ولكن لا يتقدّم لهذا الخطرالكبير إلا العالم النحرير، الذى رسخت أقدامه فى العلوم الظّاهرة، وجالت أفكاره فى معانى القرآن الباهرة۔ بعد أن تضلّع من العلم الظاهر عربية و تصريفا ولغة وبيانا و فقها وحديثا و تاريخا، يكون أخذ ذلک من أفواه الرجال ثم غاص فى علوم التصوف ذوقا وحالاً و مقامًا، بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال وإلاّ فسكوته من هذا الأمرالعظيم أسلم واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظّاهرة أتمّ۔''(21)

ففى رأيه الشرط اللّلازم للتفسير الاشارى كون المفسّر ذاقدرة بالغة على العلوم الإسلاميه مستند امن أعلام الشريعة المعاصرة لئلّايذهب إلى رأي أو قول مخالف لظاهر الشريعة المتبادر إلى الأفهام منذ فجر الإسلام۔

منهج الشيخ ابن عجيبة فى التفسير الإشاري:

ولما ندرس''البحرا لمديد'' نجده مُراعيًا لهذا الشرط المتقدم انفًا ولذلک اكتسب تفسيره من القبول والإعجاب مالم يحصل للتفاسير الأخرى، وأشار إلى منهجه فى مقدمته حيث قال:

''۔۔ مقدمًا فى كل آية مايتعلق بمهمّ اللغة العربية ثمّ بمعانى الألفاظ الظاهرة، ثم بالإشارات الباطنة متوسط فى ذلک بين الإطناب والاختصار۔''(22)

هذا هوا المنهج الذي نهج عليه فى تفسيره، فيشرع مبتدئا ببيان مكية السّورة أومدنيّتها مشيرا إلى الآيات المكّيّة فى السّور المدنيّة وبعكس ذلک، يذكر أسماء السّورالمختلفة يليها عدد الآيات فيها مع ذكر الاختلاف فى العدد إن كان، ثُمّ يشير إلى مضمون السورة و مناسبتها لما قبلها ثمّ يذكرالأحاديث الواردة فى فضلها ويقوم بتجزئة السورة إلى المقاطع، ثم يشرح الآيات القرآنية حسب اللغة ويفسّر بآيات أخرى و يذكر الآحاديث المتعلقه مشيرا إلى المسائل الفقهية مُراعيًا الأصول العلمية المعتمدة۔ ثم يأتى بالإشارة، و الأمثلة التالية تشرح منهجه المذكور۔

المثال الأوّل: حٰفِظُوْا عَلَي الصَّلَوٰتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى وَقُوْمُوْا لِلّٰهِ قٰنِتِيْنَo(23)

فَسّر ابن عجيبة الآية أوّلًا بما هوالظاهر المعروف ثمّ توجّه إلى التفسير الإشاري و ميز بين التفسيرين بقول ''الإشارة'': ''حافظوا على الصّلوات الحِسّيّة قِيامًا بوظائف العبودية وعلى الصّلوة القلبية قياما بشهود عظمة الرّبوبية وهى الصّلوة الوسطى لدوامها فى كل ساعة، قيل لبعضهم: هل للقلوب صلوة؟ قال: نعم، إذا سجد لايرفع رأسه أبدًا، أي إذا خضع لهيبته لم يرفع أبدا، وفى ذلک يقول الشاعر:

فاسجد لهيبة الجلال عندالتّدانى
وَالتقرأ آية الكمال سبع المثانى

وَأشار بقولہ، آیۃ الکمال لقولہ تعالیٰ، اِیّاکَ نعبدُ واِیّاکَ نستعین (الفاتحۃ: ۵) لیجمع بین الشریعۃ والحقیقۃ۔ ''[24]

فأشار إلی الصّلٰوۃ القلبیۃ وقال ھی الصّلوۃ الوسطٰی التی أکّد ھا اللہ سبحانہ وتعالیٰ وأمر بمحَافظتہ ومداومتہ وھی إشارۃ لطیفۃ تحثُّ علی محافظۃ القلب و توجّھہ إلی اللہ سبحانہ وتعالیٰ کما ذکر فی حدیث جبریل وسمّاہ بمرتبۃ ''الإحسان''۔

وعلی ھذا المنوال سلک الشیخ ابن عجیبۃ فی أکثر المقامات فی تفسیرہ، کما أورد الأسرار و المعارف الرّوحیہ، فی تفسیر فاتحۃ الأنعام بعد مافسّرھا حسب الظاھر، فکتب: الإشارۃ: أثنی الحق جَلّ جلالہ علیٰ نفسہ بإنشاء ھذہ العوالم التی ھی مَحلّ ظھور عظمتہ وجلالتہ وجمالہ و بھائہ، فأنشا سمٰوات الأرواح الّتی ھی مظھر لشروق أنوارذاتہ وصفاتہ و محلّ لظھور عظمۃ ربوبیّتہ، وأنشأ أرض النفوس التی ھی مظھر لتصرّف أقدارہ ، و محلّ لظھور آداب عبودیتہ، وتجلّی بین الضّدّین، بین الظلمات والنور لیقع الخفاء فی الظھور۔[25]

فأشار من خلق السموات إلی سموات الأرواح وھی مظھر لعظمتہ ومن خلق الأرض إلی خلق النفوس وھی محل لتصرّفہ و قدرتہ۔

واستنبط الشیخ ابن عجیبۃ شعارالصّوفیۃ وعلاما تھم من أوصاف أصحاب الکھف المذکورۃ فی الآیتین: اِنَّھُمْ فِتْیَۃٌ اٰمَنُوْا بِرَبِّھِمْ وَزِدْنٰھُمْ ہُدًیo وَّرَبَطْنَا عَلٰی قُلُوْبِھِمْ اِذْ قَامُوْا فَقَالُوْا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَنْ نَّدْعُوَاْ مِنْ دُوْنِہٖٓ اِلٰـھًا لَّقَدْ قُلْنَآ اِذًا شَطَطًاo[26]

ففسّرالآیۃ بمایلی:

> ''الإشارۃ۔ قدوصف اللہ أھل الکھف بخمسۃ أوصافٍ ھی من شعارا لصّوفیۃ الإیمان الذي ھو الأساس وزیادۃ الاھتداء بتربیۃ الایقان للوصول إلی صریح العرفان، وربط القلب فی حضرۃ الربّ والقیام لإظھار الحق أولدا عی الوجد والصّدع بالحق من غیر مبالاۃ بأحد من الخلق۔''[27]

فھذہ ھی الأوصاف الخمسۃ:

۱۔الإیمان ۲۔ زیادۃ الاھتداء ۳۔ ربط القلب
۴۔القیام لإظھار الحق ۵۔ الصّدع بالحق من دون خوفٍ

وفی النھایۃ توصلت إلی نکات تالیۃ نتیجۃ لھذا البحث:

التفسیر الإشاري من أنواع التفسیر المقبولۃ لدی العلماء والباحثین۔

مُساھمۃ علماء المغرب فی علم ا لتفسیر قدیمۃ و قیّمۃ نافعۃ لایمکن إھما لھا۔

مُساھمۃ علماء المغرب فی التفسیر الإشاري ذات قیمۃ خاصۃ ولھا أثربارز فی التراث الإسلامی۔

أوّل تفسیر إشاري فی المغرب ھو تفسیر الفاتحۃ بالإشارۃ للشیخ عبدالرحمن الفاسی (ت:۱۰۹۶ھ)

كان الشيخ ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤ھ) من أشهر علماء المملكة المغربية فى القرن الثانى عشرو الثالث عشر الهجرى وأحسنها علما و نفعا وتاليفاً۔

تفسير البحرالمديد أوّل تفسير مغربيّ جامع لنوعين من التفسير الظاهرى الإشارى

منهج الشيخ ابن عجيبة فى التفسير الإشاري مطابقا لمنهج المتقدّمين مثل الشيخ عبدالرحمن السلمى والإمام القشيرى۔

راعى الشيخ فى التفسير الإشاري الشرائط الّلازمة لها خاصة عدم إنكار الظاهر للقرآن۔

يستنبط الشيخ ابن عجيبة الإشارات من الآٰات القرآنية بدون مخالفة الشريعة

التفسير الإشارى للشيخ ابن عجيبة نموذج رائع للتّصوّف الإسلامى الجميل۔

المصادر و الحواش

1 - البخاري، محمد بن اسمعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفىٰ ديب البغا،بيروت: دارالفكر،رقم الحديث 4686
2 - ابن حجر، أحمدبن على، فتح الباري، بيروت: دارالمعرفة، ج۸،ص 736
3 - الزرقانى، عبدالعظيم، مناهل العرفان فى علوم القرآن، تحقيق: فواد أحمد، بيروت: دارالكتاب العربى، ج۲،ص 56
4 - التفتازانى، مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، تحقيق: على كملا، بيروت: داراحياء التراث العربى، ص 45
5 - ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، مجموعہ الفتاوٰى، المملكة العربية السعودية، مجمع الملک فهد، ج۱۰،ص ۶۰
6 - ابن القيم، محمد بن ابى بكر، التبيان فى أقسام القرآن، بيروت: دارالمعرفة، ص ۷۸۔ ۷۹
7 - الشاطبى، ابراهيم بن موسىٰ، الموافقات، تحقيق: مشهور سلمان، داراابن عفان، ج۴،ص ۴۳۱۔ ۳۳
8 - ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير و التنوير، الدارالتونسية النثر، ج۱،ص ۱۷
9 - الذهبى، مهمد حسين الدكتور، التفسير والمفسرون، القاها1رة: مكتبة وهبة، ج۲،ص ۲۵۰۔ ۳۰۰
10- المصدر السابق، ج۲،ص ۲۶۱
11 - كان المؤرّخون العرب فى القرون الوسطى يستعملون لفظ بلاد المغرب، بينما الأوربيّون يستعملونى لفظ ''الساحل البربريّ'' للدّلالة على ثلثة أقاليم: المغرب الأدنٰى (تونس الحالية) المغرب الأوسط (الجزائر العالية) المغرب الأقصٰى (المملكة المغربية الحالية)۔ تمت الإشارة للبلاد لاحقاباسم ''المغرب الأقصٰى باللغة العربية حيث اعتقدالناس فى العالم القديم أن الشمس تشرق من اليابان (باللغة العينية: نيهون: مكان شروق الشمس بيضا اشتقت البلاد اسمها فى اللغات الأوربية من الكلمة اللاتينية مرک (Morroch) وهى تصحيف اسم ''مراكش'' انظر للاستزادة والتفصيل :
https://an.wikipedia.org/wik/المغرب (17-07-2022, 08:50pm)
12 - انظر لمزيد من التفصيل: سعاداشقر، التفسير والمفسرون فى المغرب الأقصىٰ، ط۱، درالسلام، ۲۰۱۰ء
13 - خزانة التراث، فهرس المخطوطات، المملكة العربية السعودية، مركز الملک فيصل، ج ۶،ص ۸۶
14 - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة: ۱۳۴۹ھ، ج۱،ص ۴۰۰
15 - عبدالمنعم الحنفى، الدكتور، الموسوعة الصوفية، القاهرة: مكتبة موبولى، الطبعة الأولىٰ، ۱۴۲۴ھ ۲۰۰۳ء،ص ۴۰۴
16 - ابن عجيبة، أبو العباس، أحمد بن محمد، الفهرسة، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، ط: ۱، القاهرة، دارالغدالعلانى، ۱۹۹۰ھ، ص ۲۶۔ ۴۰، وانظر ايضاً، عبدالمغعم الحنفى، الموسوعة الصوفية، ص ۴۰۰ ومابعد
17 - وهى طريقة سُنية قامت على هدى من الله تعالىٰ وهدى رسولہ ﷺ ، وتعتبر أهم الطرق الصوفية السنية بالمغرب الإسلامى بدأت فو اتها فى القرن الثانى عشر الهجري، انظر: محمد الدرقاوى، الطريقة الدرقاوية الشاذلية أصولها و مرتكزاتهاء ندوة، الدار البيضاء، بدون سنة الطبع، ص ۲

18 - محمد بن محمد مغلوف، شجرة النور الزكية، ج۱،ص ۵۷۱
19 - التليدي، عبدالله بن عبدالقادر، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، الرباط، دارالأمان، ط: ۳، ۲۰۰۳م، ص۲۱۸
20- ابن عجيبة، أحمد بن محمد، ابو العباس، البحرالمديد فی تفسير القرآن المجيد، تحقيق: احمد عبدالله الناشر: الدكتور حسن عباس زكی، القاهرة، ۱۹۹۹م، ج۱، ص ۵۰
21 - المصدر السابق، ج۱،ص ۴۸
22 - المصدر السابق، ج۱،ص ۵۰
23 - البقرة: ۲۳۸
24 - ابن عجيبة، البحرالمديد، ج۱،ص ۲۳۴
25 - المصدّر السابق، ج۲،ص ۲۳۴
26 - الكهف: ۱۳-۱۴
27 - البحرالمديد، ج۴،ص ۱۴۵